الفصل الحادي عشر

ثبوت بطلان دعوى اتفاق السنة مع الشيعة

في تأويل آية البلاغ بأنها خاصة بولاية سيدنا علي

إن ما يشكك في صدق أي مذهب أو فكرة هو أن يحتج لها أصحابها بغير الصدق، وبأمر غير قائم وغير موجود، ويسمى هذا في البحث العلمي الأكاديمي بغياب الأمانة العلمية، وبالكذب والتدليس.

إذا كانت الفكرة صحيحة وصادقة، فإن صاحبها لن يحتاج لغير الصدق والأمانة؛ فإذا تجاوزهما إلى الكذب والتدليس، فإن ذلك من أكبر الأدلة على بطلان ما يدعو إليه.

وأعترف أن من أهم الأسباب التي جعلتني أتشكك في صدق أطروحات العلماء والمناظرين الشيعة الذين شاركوا في مناظرات برنامج "الحوار الصريح" في قناة المستقلة الفضائية هو ما وجدته عند عدد منهم من استسهال كبير للتخلي عن الصدق والأمانة العلمية في تعاطيهم مع المصادر والمراجع. وقد اكتشفت أن هذا السلوك شائع عند دعاة المذهب وعلمائه والمدافعين عنه.

وإليكم أكثر من دليل واضح قوي في هذا الفصل.

دليل واضح على الكذب والتدليس

سئل مركز الأبحاث العقائدية هذا السؤال:

"أود أن أسأل حضراتكم عن الآيتين ﴿ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ و آية ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى ﴾ أولا آية ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ رقمها ٦٧ في سورة المائدة و آية ﴿اليوم اكملت لكم دينكم ﴾ رقمها ثلاث، في السورة نفسها.

وكما نسمع في الروايات أن آية البلاغ نزلت قبل آية الإكمال، لكن في القرآن نجدها بعد آية الإكمال، كيف ذلك؟

ثانيا، هل الروايات القائلة بنزول الآيتين في شأن الإمام علي عليه السلام متواترة؟"

فأجاب المركز بجواب مفصل عرضناه بالكامل في الفصل السابق. ونعيد منه هنا هذه الفقرة:

".. لذا فلا عليك أن ترى تقدّم آية ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ على آية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ فإن روايات السنة والشيعة كلها متفقة على نزولهما في تبليغ ولاية علي عليه السلام.

أمّا الروايات التي تقول بنزول الآيتين في علي عليه السلام فهي متواترة عندنا وعند أهل السنة ، وفي ذلك روى حديث ابن سلاّم في (صحيح النسائي) في تفسير قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾،

وفي كتاب (المتفق): أخرج الخطيب كذلك هذه الروايات . (راجع المتفق الحديث ٥٩٩١) . وفي (كنز العمال الحديث ٦١٣٧ ج ٦ ص ٤٠٥)، وراجع ذلك في (تفسير الثعلبي) عند تفسيره هذه الآية إلى غير ذلك من المصادر . وهي تؤكد تواتر روايات النزول في تبليغ ولاية علي عليه السلام .

(الرابط في شبكة الإنترنت:

http://aqaed.org/faq/print.php?sid=167&qid=1350)

أكرر ما قلته في بداية هذا الفصل: إن ما يشكك في صدق أي مذهب أو فكرة هو أن يحتج لها أصحابها بغير الصدق، وبأمر غير قائم وغير موجود، ويسمى هذا في البحث العلمي الأكاديمي بغياب الأمانة العلمية، وبالكذب والتدليس.

إذا كانت الفكرة صحيحة وصادقة، فإن صاحبها لن يحتاج لغير الصدق والأمانة، فإذا تجاوزهما إلى الكذب والتدليس، فإن ذلك من أكبر الأدلة على بطلان ما يدعو إليه.

وضعت نص مركز الأبحاث العقائدية أمام هذا الاختبار. وصممت على النظر في أشهر مراجع التفسير عند المسلمين السنة: تفاسير الطبري، وابن كثير، والقرطبي، ومطالعة ما ورد فيها بشأن الآيتين الكريمتين ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾.

فإذا وجدت في هذه التفاسير ما يصدق قول مركز الأبحاث

العقائدية، مركز آية الله السيد علي السيستاني المتخصص في عرض عقائد الشيعة، إذا وجدت ما يصدق قوله "إن روايات السنة والشيعة كلها متفقة على نزولهما في تبليغ ولاية علي عليه السلام"، فإن ذلك دليل قاطع على صدق المركز وأمانته العلمية.

وإذا وجدت غير ذلك، استخلصت النتيجة المناسبة أيضا واستخلصها قراء هذا الكتاب.

الاختبار سهل وبسيط، لأن كل هذه التفاسير متوافرة في شبكة الإنترنت.

تفسير الطبري لقوله تعالى

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ﴾

ذكر الطبري في تفسيره أن الآية تدل على أن الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وآله إبلاغ الدين كاملا إلى أهل الكتاب والمشركين "وأن لا يُشْعر نفسَه حذرًا منهم أن يُصيبوه في نفسه بمكروهٍ ما قام فيهم بأمر الله، ولا جَزعًا من كثرة عددهم وقلّة عدد من معه، وأن لا يتّقى أحدًا في ذات الله، فإن الله تعالى ذكره كافيه كلَّ أحد من خلقه، ودافعٌ عنه مكروهَ كل من يبغي مكروهه. وأعلمه تعالى ذكره أنه إن قصَّر عن إبلاغ شيء مما أنزل إليه إليهم، فهو في تركه تبليغ ذلك - وإن قلّ ما لم يبلّغ منه - فهو في عظيم ما ركب بذلك من الذَّنب بمنزلته لو لم يبلِّغ من تنزيله شيئًا".

تفسير القرطبي لقوله تعالى

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾

قال القرطبي: قيل: معناه أظهر التبليغ، لأنه كان في أول الإسلام يخفيه خوفا من المشركين، ثم أمر بإظهاره في هذه الآية، وأعلمه الله أنه يعصمه من الناس.

وكان عمر رضي الله عنه أول من أظهر إسلامه وقال: لا نعبد الله سراً، وفي ذلك نزلت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأنفال: ٦٤) فدلت الآية على رد قول من قال: إن النبي ﷺ كتم شيئا من أمر الدين تقية، وعلى بطلانه، وهم الرافضة، ودلت على أنه ﷺ لم يسر إلى أحد شيئا من أمر الدين، لأن المعنى بلغ جميع ما أنزل إليك ظاهرا.

ولولا هذا ما كان في قوله عزوجل: " وإن لم تفعل فما بلغت رسالته " فائدة.

وقيل: بلغ ما أنزل إليك من ربك في أمر زينب بنت جحش الأسدية -رضي الله عنها-.

وقيل غير هذا، والصحيح القول بالعموم، قال ابن عباس: المعنى بلغ جميع ما أنزل إليك من ربك، فإن كتمت شيئا منه فما بلغت رسالته، وهذا تأديب للنبي ﷺ، وتأديب لحملة العلم من أمته ألا يكتموا شيئا من أمر شريعته، وقد علم الله تعالى من أمر نبيه أنه لا يكتم شيئا من وحيه.

وفي صحيح مسلم عن مسروق عن عائشة أنها قالت: من حدثك أن محمداً ﷺ كتم شيئاً من الوحى فقد كذب، والله تعالى يقول: " يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته". وقبح الله الروافض حيث قالوا: إنه ﷺ كتم شيئاً مما أوحى إليه كان بالناس حاجة إليه.

الثانية ـ قوله تعالى: (والله يعصمك من الناس) دليل على نبوته، لأن الله عزوجل أخبر أنه معصوم، ومن ضمن سبحانه له العصمة فلا يجوز أن يكون قد ترك شيئا مما أمره الله به.

وسبب نزول هذه الآية أن النبي ﷺ كان نازلا تحت شجرة فجاء أعرابي فاخترط سيفه وقال للنبي ﷺ: من يمنعك مني ؟ فقال: "الله"، فذعرت يد الأعرابي وسقط السيف من يده، وضرب برأسه الشجرة حتى انتثر دماغه، ذكره المهدوي.

تفسير ابن كثير لقوله تعالى

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾

وجاء في تفسير ابن كثير لهذه الآية عرض طويل واف مفصل لأحاديث أخرجها البخاري ومسلم، وغيرهما، متصلة بهذه الآية. كلها لم يرد فيها موضوع ولاية سيدنا علي رضي الله عنه من قريب أو من بعيد. قال يرحمه الله:

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ (٦٧)

يقول تعالى مخاطبًا عبده ورسوله محمدًا ﷺ باسم الرسالة، وآمرًا له بالإبلاغ بجميع ما أرسله الله به، وقد امتثل صلوات الله وسلامه عليه ذلك، وقام به أتمّ القيام.

قال البخاري عند تفسير هذه الآية: حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا سفيان، عن إسماعيل، عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة قالت: من حَدّثَك أن محمدًا ﷺ كتم شيئًا مما أُنزل عليه فقد كذب، الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾ الآية.

هكذا رواه ههنا مختصرًا، وقد أخرجه في مواضع من صحيحه مطولا، وكذا رواه مسلم في "كتاب الإيمان"، والترمذي والنسائي في "كتاب التفسير" من سننهما من طرق، عن عامر الشعبي، عن مسروق ابن الأجدع، عنها رضي الله عنها.

وفي الصحيحين عنها أيضا أنها قالت: لو كان محمد ﷺ كاتماً من القرآن شيئًا لكتم هذه الآية: ﴿وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ﴾. (الأحزاب:٣٧).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن منصور الرمادي، حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا عباد، عن هارون بن عنترة، عن أبيه قال:

كنت عند ابن عباس فجاء رجل فقال له: إن ناسًا يأتونا فيخبرونا أن عندكم شيئًا لم يبده رسولُ الله ﷺ للناس. فقال: ألم تعلم أن الله تعالى قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾ والله ما ورثنا رسول الله ﷺ سوداءَ في بيضاء.

وهذا إسناد جيد، وهكذا في صحيح البخاري من رواية أبي جُحَيفَة وهب بن عبد الله السّوائي قال: قلت لعلي بن أبي طالب، رضي الله عنه: هل عندكم شيء من الوحي مما ليس في القرآن؟ فقال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إلا فَهْمًا يعطيه الله رجلاً في القرآن، وما في هذه الصحيفة، قلت: وما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل، وفَكَاك الأسير، وألا يقتل مسلم بكافر.

وقال البخاري: قال الزهري: مِنَ الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم. وقد شهدت له أمته ببلاغ الرسالة وأداء الأمانة، واستنطقهم بذلك في أعظم المحافل، في خطبته يوم حجة الوداع، وقد كان هناك من الصحابة نحو من أربعين ألفًا كما ثبت في صحيح مسلم، عن جابر بن عبد الله؛ أن رسول الله ﷺ قال في خطبته يومئذ: "أيها الناس، إنكم مسؤولون عني، فما أنتم قائلون؟" قالوا: نشهد أنك قد بَلّغت وأدّيتَ ونصحت. فجعل يرفع إصبعه إلى السماء ويَقلبها إليهم ويقول: "اللهم هل بَلَّغْتُ، اللهم هل بلغت".

وقال الإمام أحمد: حدثنا ابن نُمير، حدثنا فضيل -يعني ابن غَزْوان- عن عِكْرِمَة، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ في حجة

الوداع: "يأيها الناس، أيّ يوم هذا؟" قالوا: يوم حرام. قال: "أيّ بلد هذا؟" قالوا: بلد حرام. قال: "فأيّ شهر هذا؟" قالوا: شهر حرام. قال: "فإن أموالكم ودماءكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا". ثم أعادها مرارًا. ثم رفع إصبعه إلى السماء فقال: "اللهم هل بلغت!" مرارًا ـ قال: يقول ابن عباس: واللّه لَوصِيَّةٌ إلى ربه عز وجل ـ ثم قال: "ألا فليبلغ الشاهدُ الغائبَ، لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض".

وقد روى البخاري عن علي بن المديني، عن يحيى بن سعيد عن فضيل بن غزوان، به نحوه.

وقوله: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ يعني: وإن لم تُؤد إلى الناس ما أرسلتك به ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ أي: وقد عَلِم ما يترتب على ذلك لو وقع.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ يعني: إن كتمت آية مما أنزل إليك من ربك لم تبلغ رسالته.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي: حدثنا قُبَيْصة بن عُقْبَةَ حدثنا سفيان، عن رجل، عن مجاهد قال: لما نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ قال: "يا رب، كيف أصنع وأنا وحدي؟ يجتمعون عليَّ". فنزلت ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾

ورواه ابن جرير، من طريق سفيان ـ وهو الثوري ـ به.

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: بلغ أنت رسالتي، وأنا حافظك وناصرك ومؤيدك على أعدائك ومظفرك بهم، فلا تخف ولا تحزن، فلن يصل أحد منهم إليك بسوء يؤذيك.

وقد كان النبي ﷺ قبل نزول هذه الآية يُحْرَس كما قال الإمام أحمد:

حدثنا يزيد، حدثنا يحيى، قال سمعت عبد الله بن عامر بن ربيعة يحدث: أن عائشة كانت تحدث: أن رسول الله ﷺ سَهِر ذات ليلة، وهي إلى جنبه، قالت: فقلتُ: ما شأنك يا رسول الله؟ قال: "ليت رجلا صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة؟" قالت: فبينا أنا على ذلك إذ سمعت صوت السلاح فقال: "من هذا؟" فقال: أنا سعد بن مالك. فقال: "ما جاء بك؟" قال: جئت لأحرسك يا رسول الله. قالت: فسمعت غطيط رسول الله ﷺ في نومه. أخرجاه في الصحيحين من طريق يحيى بن سعيد الأنصاري، به".

وبعد أن عرض ابن كثير بعض الروايات الأخرى المماثلة، ثم بيّنَ دلائل عصمة الله عز وجل لرسوله، من جهة حفظه من مكائد الأعداء ومؤامراتهم في المرحلتين المكية والمدنية، قال:

"وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ أي: بلغ أنت، والله هو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء، كما قال: ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ (البقرة: ٢٧٢) وقال ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ﴾. (الرعد: ٤٠).

الخلاصة من تفاسير الطبري والقرطبي وابن كثير

أن قول مركز الأبحاث العقائدية غير صحيح

أقول: لقد تبين، بعد النظر فيما ورد في تفاسير الطبري والقرطبي وابن كثير حول آية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾، ونقلها في هذا الفصل، وعرض العديد من الروايات في سبب نزولها، تبين وتأكد خلوها تماما من أي إشارة تأييد للقول بأنها نزلت في ولاية سيدنا علي رضي الله عنه، بل لقد رد أحد هؤلاء المفسرين، وهو القرطبي، على بعض دعاوى الشيعة بشأنها.

وبهذا، ثبت بالدليل القاطع أن ادعاء مركز الأبحاث العقائدية بأن "روايات السنة والشيعة كلها متفقة على نزولهما في تبليغ ولاية علي عليه السلام، ثبت أن هذا الادعاء غير صحيح.

نصيحة لدعاة الدين وعلماء المذاهب

أنصح نفسي، وكل باحث علمي، وأنصح دعاة الدين وعلماء المذاهب، بتجنب الكذب والتدليس عند الدفاع عن أديانهم ومذاهبهم وأفكارهم، وأنصح الجميع باحترام مبادئ الأمانة العلمية.

وأقول: لاشك أن الكذب والتدليس والإخلال بمبادئ الأمانة العلمية سلوك لا ينسجم مع تعاليم الأديان كلها، وتعاليم أهل البيت -رضي الله عنهم.

ومن يقع في مثل هذه الممارسات المخلة بالأمانة العلمية لا يمكن الوثوق به في أي أطروحة أخرى يدافع عنها، ولو كان شاهدا في محكمة مدنية عادية، في إيران أو في أوروبا، لسقطت عدالته وشطب اسمه تماما من لائحة الشهود.

وأقول: إن من يحاول إقحام أمر في الدين، هو ليس في أصله من الدين، يضطر للحيلة والتدليس والتخلي عن مبادئ الأمانة العلمية ونشر أخبار ونقول غير صحيحة. ولعله عندما ينشرها يقول لنفسه: دعني أنشر هذه الآراء والأقوال، وسيصدقها كثير من الناس، إذ كم من القراء سيكلف نفسه عناء الرجوع إلى المصادر للتدقيق في صحة هذه الأقوال أو بطلانها؟

وهذا نهج سيء. وهو نهج مسيء لأصحابه وللبحث العلمي، وإذا صنع عالم أو باحث مثل هذا الصنيع، وكذب ودلس بنية الدفاع عن أهل البيت - رضي الله عنهم - فإنه في الواقع يسيء إساءة بالغة لأهل البيت الذين ينشر هذا الكذب وهذا التدليس دفاعا عنهم.

مقام أهل البيت رفيع بأدلة الصدق، وليس بالكذب والتدليس. وقد أمرنا بالصلاة والسلام عليهم في كل صلاة. فما الذي يحوج محباً صادقاً لهم للكذب من أجلهم؟

أكرر هنا: إن من يحاول إقحام أمر في الدين، هو ليس في أصله من الدين، يضطر للحيلة والتدليس والتخلي عن مبادئ الأمانة العلمية ونشر أخبار ونقول غير صحيحة. ومن استبدت بعقله الحماسة

الطائفية، والمصالح السياسية، أساء لنفسه ودعوته ولمبادئ الأمانة العلمية.

وأنتقل إلى الفصل الآتي لبحث مدى صدقية قول مركز الأبحاث العقائدية بخصوص آية ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾، قوله بأن روايات السنة والشيعة كلها متفقة على نزولها هي أيضا في تبليغ ولاية علي رضي الله عنه.

هل هذه الدعوى صادقة وصحيحة؟